﴿ الحرم ومكانته عند العرب ﴾

الحرم مكة وما حواليها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك وحدود الحرم من مكة تختلف قرباً وبعداً فيحد من جهة المدينة بثلاثة أميال ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال ومن جهة الجعرانة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة * حكى فى الروض المعطار عن الزبير ان أول من وضع علامات الحرم ونصب العمد عليه عدنان ابن أد خوفاً من أن تندرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه انها موضوعة قبل ذلك وهو الحق فانها من صنع ابراهيم الخليل وممن ذكر ذلك السيوطى فى كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم ابراهيم الخليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصى فجددها ثم لم تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعى فجددها ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث اربعة من قريش كانوا ينتدبون فى نواديها فجددوا انصابه وهم مخرمة بن نوفل وأبو هود سعيد بن يربوع المخزومى وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهرى حتى كان عثمان بن عفان فبعث على الحجيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد أنصاب الحرم فبعث عبد الرحمن نفراً من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن ابن أزهر وكان سعيد بن يربوع قد ذهب بصره فى خلافة عمر وذهب بصر مخرمة بن نوفل فى خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم فى كل سنة فلما ولى معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن مروان أرسل الى أكبر شيخ يعلمه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من بنى بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم » وقال النووى فى شرح المهذب ان تلك الانصاب لاتزال الآن ثابتة فى جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة الجعرانة فليس فيهما انصاب

وقد جعل الله مكة وما حواليها حرماً آمنا يتخطف الناس من حوله

واختلف فى حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حرماً بسؤال ابراهيم (رب اجعل هذا بلداً آمنا) يعنى مكة وماحواليها فأجاب الله سؤله ويعاضده رواية أبى هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليله وانى عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة مابين لابتيها عضاها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير « والقول الثانى » انها كانت منذ وجدت حرماً آمناً من الجبابرة والمتسلطين ومن الخسف والزلزال وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمه آمناً من الجدب والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ماروى عن أبى شريح الخزاعى أن النبى لما افتتح مكة قام خطيباً فقال أيها الناس ان الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يعضد (١) بها شجراً وانها لاتحل لأحد بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس الا ليبلغ الشاهد الغائب فمن قال رسول الله قتل بها فقولوا ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على دين أبيهم ابراهيم فى ذلك فكانوا لاينفرون صيد الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مضاض

فسحت دموع العين تبكى لبلدة ... بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه ... تظل به أمنا وفيه العصافر (٢)
وفيه وحوش لاتزال أنيسة ... اذا خرجت منه فليست تغادر

وقال النابغة الذبيانى

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسعد (٣)

---

(١) العضد القطع (٢) تظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وأراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفعه على المعنى أى وتأمن فيه العصافير (٣) اقسم بالله الذى أمن (العائذات)

ما قلت من سيئ مما أتيت به اذا فلا رفعت سوطى الى يدى

وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئا ولذلك قال الزبيدى فى العاص ابن وائل لما اغتصبه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخويفه وان كان مقيما فى الحرم

ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

ويرون مكة بلداً لقاحاً لا تؤدى اتاوة ولا تدين للملوك وهى كذلك ولذلك سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حرا ولم يملكه أحد

قال الزبرقان بن بدر لرجل من بنى عوف هجا أبا جهل وتناول قريشا

أتدرى من هجوت أبا حبيب جليل خضارم سكنوا البطاحا(١)

وزاد الركب تذكر ام هشاما وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)

روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر فى الجاهلية فتوجه وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك وصاح الاسود ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده

وكانوا يحرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبى مطر الحضرمى يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح فتكنف كالندامى من قريش(٣)

وهى الحديثة النتاج من الحيوانات جمع عائذة و (تمسحها ركبان مكة) أى تمسح عليها ولا تهيجها بأخذ و(الغيل) بكسر الغين و(السعد) أجمتان كانتا منافع ما بين مكة ومنى (١) الخضارم جمع خضرم وهو الجواد المعطاء و(البطاح) جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى

(٢) و(أزواد الركب) مسافر بن أبى عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد فى سفر يطعمونه ويكفونه الزاد و(هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أرخوا بموته

(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و(تكنف) أى تصير فى حرز

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش

وقول خداش بن زهير فى يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا ففرت قريش الى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ماشددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم(٢)

وكانوا يكرهون الظلم فى الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو ابن لحىّ لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام

وقول سبيعة بنت الأحب (٣) بن زبينة تنهى ابنها خالد بن عبد مناف عن الظلم فى الحرم وتعظم حرمة مكة

ابنى لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يغررك بالله الغرور
ابنى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
ابنى يضرب وجهه ويلح بخديه السعير
ابنى قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بنيت بعرصتها قصور
والله أمن طيرها والعصم تأمن فى ثبير

وقد بلغ احترامهم للحرم انهم كانوا ينزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا . واذا نزل أحدهم نهارا وأراد قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل تنزها له ولا يبنون فيه بناء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الاحب

والله أمنها وما بنيت بعرصتها قصور

---

(٢) سخينة لقب تعير به قريش لاتخاذها اياها وهى طعام رقيق يتخذ من دقيق (٣) قال سيبويه الأحب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب وأبو عبيدة يقوله بالجيم

وانما كانوا اذا نزلوا فى الحرم ينزلون فى العريش وكانت العمالقة وجرهم حين ولايتهم الحرم ينتجعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مر فلما كانت ولاية الحرم لقريش فى قصى ابن كلاب بنى دار الندوة وهى أول دار بنيت بمكة وجعل بابها جهة البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم فى الحرم حول الكعبة لتهابهم العرب ولاتستحل قتالهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بنى شيبة وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح وتركوا قدر الطواف قال المبرد فى الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك بهذا الجوار حتى كان يقال يكفيك من قريش انها أقرب الناس من بيت الله بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تفىء عليها الكعبة صباحاً وتفىء على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى به فى منزله فيصلح له فاذا عاد فى الطواف رمى بها اليه وفى ذلك يقول الشاعر

لهاشم وزهير فضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكبش والاسد
مجاور البيت ذى الاركان بيتهما مادونهم فى جوار البيت من أحد

قالوا وقد سميت بمكة لانها لا تقر ظالما ولا بغيا ولا يبغى فيها أحد الا مكته وأخرجته وقد روى الاصمعى قول الراجز فى تلبيته

يا مكة الفاجر مكى مكا ولا تمكى مذحجا وعكا

وكانت تسمى أيضا بالناسة لانها تنس من ألحد فيها أى تطرده وتنفيه وبالباسة لانها تبس من الحد فيها أى تحطمه وتهلكه ومنه قوله تعالى وبست الجبال بساً

ولقد كان اجتناب الظلم فى الحرم شريعة عامة ودينا متبعاً وان حصل اعتداء على النفس أو المال فنادر كما آذى كفار قريش زيد بن عمرو بن نفيل فى مكة لما اطرح عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه

لا هم انى محرم لاحله (١) وان بيتى أوسط المحلة (٢)
عند الصفا ليس بذى مضله

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شيبة السلمى باع متاعا من أبى بن خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بنى جمح فلم يقم بجواره فقال

يال قصى كيف هذا فى الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم
أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمى فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا(٣)
فأت البيوت وكن من اهلها صددا لا يلق ناديهم فحشا ولا باسا (٤)
وثم كن بفناء البيت معتصما تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا
قرمى قريش وحلا فى ذؤابتها بالمجد والحزم ماحازا وماساسا(٥)
ساق الحجيج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر سببها أما الطيش والحماقة واما الاعتماد على القوة

(حلف الفضول)

لقد أدرك بعض العقلاء ان ماكان يقع من المظالم فى الحرم لو لم يقف الحق فى سبيلها وترد الحقوق لأصحابها لسقطت هيبة الحرم من نفوس العرب واعتدى على سكان البلد الحرام فتكلموا فى ذلك ثم تحالفوا على نصرة المظلوم على الظالم وسموه حلف الفضول . فكان فى الحقيقة حلفا سياسياً اجتماعياً عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامة ودفعهم لعقده أيضاً الدين مخافة ان يعاقبهم الله على البغى فى الحرم

---

(١) محرم ساكن فى الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الذمة بالكسر العهد والغل الحقد (٤) كن صدد البيوت أى قبالتها وقربها (والفحش) عدوان الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والذؤابة) من العز والشرف وكل شىء أعلاه

أما العدوان الذى كان سببا مباشرا لهذا الحلف فهو ما روى ان رجلا من بنى زبيد قدم مكة معتمرا فى الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن وائل السلمى وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدى متاعه فلم يقدر عليه فجاء الى بنى سهم يستعديهم عليه فعرف ان لا سبيل الى ماله فطوف فى قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه وانتهره الاحلاف عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدى الشر أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة فصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
اقائم من بنى سهم بذمتهم ام ذاهب فى ضلال مال معتمر
ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال

حلفت لنعقدن حلفا عليهم وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت انا أباة الضيم نمنع كل عار

ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم انى والله لأخشى أن يصينا ما أصاب الأمم السالفة من ساكنى مكة ومشى الى عبد الله بن جدعان التيمى وهو يومئذ شيخ قريش فاخبره بظلم بنى سهم وقد كان أصاب بنى سهم أمران ظنوهما للبغى . احدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة . وثانيهما ان ركبا منهم أقبلوا من الشأم فنزلوا بماء يقال له القطيعة فصبوا فضلة خمر لهم فى اناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم بقية فكرع منها حية أسود ثم تقيأ فى الاناء فهب القوم فشربوا منه فماتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بنى هاشم وبنى اسد

ابن عبد العزى (١) وبنى زهرة وبنى تيم بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار فى شعبان وحلف الفضول بعدها فى ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتحالفوا فى شهر حرام قياماً يتماسحون بأكفهم وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة على الا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ويكونوا جميعا مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا اليه مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً منهم أو من غيرهم أو يبلغوا فى ذلك عذرا وعلى الا يتركوا لأحد عند أحد فضلا الا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مابل بحر صوفة ومارسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى فى المعاش والتساهم بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه فى جفنة وبعثوا به الى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا والله لا نفارقك حتى تؤدى اليه حقه فاعطى الرجل حقه فكنوا كذلك لا يظلم أحد بمكة الا أخذوا له حقه ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لو ان رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول ولقد شهده رسول الله فعن عائشة انها سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت فى دار عبدالله بن جدعان حلف الفضول . أما لو دعيت اليه اليوم لأجبت . وما أحب ان لى به حمر النعم وانى نقضته وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا الا يقيم ببطن مكة ظالم (٣)
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجار والمعتر فيهم سالم (٤)

(١) تابعنا ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة وروى الاغانى عن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى فى حلف الفضول

(٢) فى رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة

(٣) الفضول هم القبائل التى عقدت هذا الحلف (٤) المعتر الفقير والمتعرض للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا فى عقده قال المطيبون والله لئن تكلمنا فى هذا ليغضبن الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا فى هذا ليغضبن المطيبون . وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمى بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل هؤلاء فى فضل من الامر . ونقل السهيلى سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال كان قد سبق قريشاً الى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الأول فتحالف منهم ثلاثة ومن تبعهم أحدهم الفضل بن فضالة والثانى الفضل بن وداعة والثالث فضيل بن الحارث هـذا قول القتبى . وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل ابن وداعة والفضل بن قضاعة . فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهمين سمى حلف الفضول والفضول جمع فضل وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه وأولى وهو مارواه الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن بن أبى بكر قالا قال رسول الله صلى عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به فى الاسلام لأجبت . تحالفوا ان ترد الفضول على أهلها والا يعز ظالم مظلوما فقد بين هذا الحديث لم سمى حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف فى العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية واسلاما . فقد رد العدل الى نصابه فى كثير من الحوادث .

فمن أثار نفعه فى الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت فى غريب الحديث ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمى من يعدينى على هـذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمنى فى ابنتى وانتزعها منى قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فاخرجها اليهم

ومن ذلك ما فى الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من أبيّ بن خلف الجُمَحى فظلمه . وكان يسمّى المخالطة فأتى الثمالى الى أهل حلف الفضول فاخبرهم فقالوا له اذهب فاخبره انك أتيتنا فان اعطاك حقك والا فارجع| الينا فأتاه فاخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه اياه بعينه وقال الثمالى فى ذلك

ايأخذنى فى بطن مكة ظالما أبيّ ولا قومى لدى ولا صحبى
وناديت قومى صارخاً لتجيبنى وكم دون قومى من فياف ومن سهب
ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتى بنى جمح والحق يؤخذ بالغصب

ولقد قطع الاسلام ما كان فى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند التحزب حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول يا للانصار . فقال دعوها فانها منتنة لان الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال الا يا لله ويا للمسلمين وجاز يا لحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم فلم يزدد به هذا الحلف الا قوة وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده الاسلام الا شدة أن يقول الحليف يا لفلان لحلفائه فيجيبوه بل الشدة فى الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين فى حقه لسلطانه فقال له الحسين احلف بالله لتنصفننى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لأقومن فى مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى فقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك مافى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له فخرج مغضبا من عنده فلقى عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لأهتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك . قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لقينى الحسين فخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لنا بالصيلم انك لقيته مغضباً فهات الثلاث . قال تجعلنى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتسأله اياه قال أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو تشتريه منه قال . وأنا اشتريه منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لودعانى الى حلف الفضول لأجبته . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالقة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل وجعل ارتفاعها خمساً وعشرين ذراعاً . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

---

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلى : وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحاً لما وهى منه وجداروا بنى بينه وبين السيل بناء عامر الجاروه

حلفت بثوبى راهب الشام والتى بناها قصى وحده وابن جرهم

ثم بنتها قريش وشهد رسول الله بناءها وعمره خمس وعشرون سنة . وكان بابها فى الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى لا يدخل الا بسلم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد ممن تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما أجمعت قريش أمرها على هدمها وبنائها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ المخزومى : يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا انما أخرجوا من النفقة لا يكفى للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساساً فى بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل فى بنائها حتى اذا بلغ البنيان موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا . كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه حتى تحالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضيناه هذا محمد وأخبروه خبرهم فدعا عليه السلام بثوب فأتى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذه بيده الشريفة فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة فى زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد اليه الحصين بن نمير فى عسكر كثيف من أهل الشأم فالتجأ ابن الزبير للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقذوفه الكعبة فهدمها وحرق

---

(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبى بكر ان الذى وضع الركن فى بناء عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتنم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه فى

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبناها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الاخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة . ثم قال عليه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خَلْفاً (١) والصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر» وكان فراغه من بنائها فى السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف فحاصره فى مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير فى الكعبة فقال لسنا من تخليط أبى خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامى الشمالى ست أذرع وشبرا وبنى على أساس قريش ورفع الباب الشرقى وسد الغربى ولم يغير من باقيها شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبى ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر ابن أبى ربيعة ومعه رجل آخر فحدثاه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكث الارض بمخصرة فى يده ويقول « وددت انى تركت أبا خبيب وما تحمل فى ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك . فقال لهمالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب

المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس فى ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه

(١) خلفاً أى باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير تكنى باسم ولده خبيب

هيبته من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من بناء الحجاج وباقى حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت فى الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من كساها تبع الآخر وهو تبان أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف فى نبوتهم من العرب رووا انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل المصفى وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الثياب المعافريه (٢) . ثم أرى ان يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل (٣) قال ابن هشام (واوصي بالبيت ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره والا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مئلاة وهى المحائض (٤) وجعل له باباً ومفتاحا) وقال فى كسوته

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)
فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)
ونحرنا بالشعب ستة آلا ف ترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا

وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا اسعد الحميرى فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

---

(١) جمع خصفة وهى ثوب غليظ أو شىء ينسج من الخوص والليف

(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابو حيّ من همدان (٣) الوصائل ثياب حِبَرة من عصب اليمن سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض واحدتها وصيلة (٤) قال السهيلى لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على محائض وانما هى جمع محيضة وهى خرقة المحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب له علم فى موضع العضد (٦) الاقليد المفتاح .

ولقد غزاها تبع وكسا بنيتها الحبير (١)
وأذل ربى ملكه فيها فأوفى بالنذور
يمشى اليها حافيا بفنائها الفا بعير
ويظل يطعم أهلها لحم المهارى والجزور
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال . بلغنى أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تجلل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل مابقى فى خزانة الكعبة فاذا بلى منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شئ وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبدالله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى فى المال فقال لقريش انا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتى بالحبر الجندية من الجند وهى بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش العِدْل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم الترويه (٤) من الديباج (٥) ليراها الناس فى بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار .

---

(١) غزاها طلبها وقصدها وتريد بالحبير الحبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المثقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن العدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن العدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

(٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النسابة انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الدارقطنى أن تبيعة أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنحرها عند البيت . وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسى شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه

وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام فى قصيدته اللامية المشهورة فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل

وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النبى عليه السلام الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان ومعاوية والأمويون وكان العباسيون يكسونها الحرير الأسود وينسجون كسوتها بتنيس احدى مدن مصر التى عفت ولما ضعفت شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحينا من ملوك مصر ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتى بسوس وسندبيس بمديرية القلوبية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان فى كل عام

وكانوا فى الجاهلية لا ينزعون من ثيابها شيئاً فعن ابن أبي مليكة انه قال . كانت على الكعبة كسى كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاما بعضها فوق بعض فلما كسيت فى الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام معاوية فكتب اليه شيبة بن عثمان الحجبي يرغب اليه فى تخفيفها من كسى الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن يجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وحبرة فجردها شيبة حتى لم يبق عليها شيء وكساها الكسوة التى بعث بها معاوية وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة . وكان ابن عباس حاضرا فى المسجد فلم ينكر عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشيبة

العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيرا فنذرت ان هى وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

بثمنها واجعل ثمنها فى سبيل الله

ثم لم تكن تجرد فى كل عام حتى حج الخليفة المهدى العباسى سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدنة الكعبة كثرة الكساوى التى عليها فأمر بها فانزلت وأمر الا يعلق عليها الا كسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن

تعظيم العجم والعرب للكعبة

قد عظمت العجم والعرب الكعبة فمن تعظيم العجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبوه أحد آلهتهم وهو الأقنوم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت فى الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يعتقدون أن روح هرمز حلت فى الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لانسابهم لاعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسعودى سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها فى الزمن الاول فزمزمت عليها ـ والزمزمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى القديم من الزمان

زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالفها الاقدم

والزمزمة كلام المجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض شعراء الفرس فى الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلفى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدينا
وطاف به وزمزم عند بئر لاسماعيل تروى الشاربينا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أبيهم ابراهيم واسماعيل . فمنها انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبنى بيوتها حوله

لتهابهم العرب لمكان البيت فامتثلوا أمره . و(كانوا) لا يرفعون بناءهم فوق بنائها تعظيما لها . و(كانوا) يتحامون التربيع فى البناء كيلا يشبهها وأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير أحد بنى أسد بن عبد العزى كما فى الحيوان للجاحظ لكن فى صبح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بديل بن ورقاء الخزاعى و (كانوا) يخلعون نعالهم عند دخولها . وفى صبح الاعشى ان أول من خلع نعليه عند دخولها الوليد بن المغيرة . و (كانوا) يحلفون بها والشواهد على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبى سلمى

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

و (كانوا) يضمخون البيت فى الجاهلية بلحوم الأبل ودمائها فلما جاء الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان نضمخ فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم

ولقد اشترك اليهود والنصارى والمشركون فى احترامها واتخذوها معبدا كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والعذراء وصوروا بها ابراهيم واسماعيل وفى أيديهما الأزلام ووضعت كل قبيلة صنمها الذى تعبده عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنما وما زالت كذلك حتى بعث رسول الله فمحا الصور وكسر الاصنام وخلصها لعبادة الله وحده

ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاورى البيت الحرام بالرئاسة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهى به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)

اما بُسّ — فحكى الاغانى خبره وهو أن بنى بغيض بن غطفان لما استشعروا من نفسهم القوة عند ما انتصروا على صداء — وهى قبيلة من مَذْحج — قالوا والله لنتخذن حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعضد شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعلهم هذا زهير بن جناب وهو

---

(١) فى القاموس بُسٌّ بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشا

يومئذ سيد كلب . قال والله لا يكون هذا أبدا وانا حي فسار فى قومه حتى غزا غطفان فظفر بهم وأسر فارساً فى حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب رقبته فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبنى مرة بن عوف

واما كنيسة القليس(١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشى بصنعاء الى جنب غمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها. ولما تم له بناؤها كتب الى النجاشى انى قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبن العرب والعجم مثله ولن أنتهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشى غضب رجل من النسأة أحد بنى فقيم ابن عدى بن عامر فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم خرج فلحق بقومه فلما أخبر بذلك أبرهة سأل عمن صنعه فقيل له صنعه رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه الفيل . فلما نزل بالمغمس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاخبرهم انه لا يريد الا هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاتلهم وعلمت قريش انها لا طاقة لها بحربه فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقام ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده وقال

لاهم ان العبد يمنـ ـع رحله فامنع حلالك(٢)

يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزءوا به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلبى فقتل ظالما وهدم بناءه (١) قال السهيلى سميت هذه الكنيسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لأنها فى أعلى الرؤوس

(٢) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى . و (الحلال) القوم الحلول فى المكان

وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك (١)
ان كنت تاركهم وقبـ ـلتنا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قريش من مكة وتحرزوا فى شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبش وأخذوا ينتظرون ما ابرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جنده . فلما وجهوا الفيل الى جهة الكعبة برك فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن فى مراقه حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة فبرك وجعل الله كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل (٢) لا تصيب منهم أحدا الا هلك فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب فى جسمه يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر . فمات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما رأت العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قريشاً . وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استذل ابرهة أهل اليمن فى بناء القليس وبناها بحجارة قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنياً بموضع من هذه الكنيسة على فراسخ وبه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أراده من بهجتها وحسنها فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى نقل ما كان فى قصر بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربى (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

---

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو القوة والشدة (٢) الابابيل الجماعات و(السجيل) الشديد الصلب

(٣) هو محيى الدين ابن العربى وجميع ما ننسبه له فمن كتابه محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار فى الاديبات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع وكان له باب من نحاس عشر اذرع طولا فى اربع اذرع عرضا . وكان المدخل منه الى بيت فى جوفه طوله ثمانون ذراعا فى اربعين ذراعا محلى بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب . ثم يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعا عن يمينه وعن يساره عقد مضروبة بالفسيفساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان الى قبة ثلاثون ذراعا فى مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة وفيها رخامة مما يلى مطلع الشمس من اليلق مربعة عشر اذرع فى مثلها تعشى عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدى ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة وكان تحت الرخامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفى القبة سلاسل فضة . وكان فى القبة وفى البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا يقال لها كعيب وخشبة من ساج نحوها فى الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما فى الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحورى . وهو فى لسانهم الحر » رووا انه لما هلك أبرهة ومزقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بعضهم أخذ منها شيئا فأصيب بأذى فنسب رعاع اليمن ما اصابه الى الصنمين كعيب وامرأته فتحاماها الناس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من المال الى زمن أبى جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمن العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثى يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس مالا كثيرا بما باعه من رخامها ودعا بالسلاسل فعلقها فى كعيب والخشبة التى معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمن يقولون فيهما فعلق السلاسل فى العجل ثم جذبهما الثيران حتى أبرزا من السور . فلما لم ير الناس شيئا مما كانوا يخافون من مضراتهما اشترى رجل عراقى الخشبة وقطعها لدار له . واتفق أن العراقى أصيب بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم وقالوا أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهينة يقال له عبد الدار بن حُديب قال لقومه هلم نبنى بيتا نضاهى به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال فى ذلك

ولقد أردت بان تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمأثم
فأبى الذين اذا دعوا لعظيمة راغوا ولاذوا فى جوانب قودم
يلحون ان لا يأمروا فاذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم

الاربعة الاشهر الحرم ـ والنسل

كما كانوا على دين ابراهيم فى تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه فى تحريم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب . فكانوا ينزعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلقى الرجل فيها قاتل ابيه أو اخيه فلا يتعرض له .ولم تكن العرب كلها تحرم الاشهر الحرم فقد كانت طيئ كلها وخثعم كلها وكثير من أحياء قضاعة ويشكر وبنى الحارث بن كعب على ماحكاه الجاحظ فى الحيوان محلين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلى سر مشروعيتها فقال

« ان تحريم القتال فى الاشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمات الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا ابراهيم لذريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم . ثم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على انفسهم واهليهم واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر مايصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية ومانعزوه اليه بكنية أبى المنذر فما ذكره فى كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فللعمار يأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً فكانت الأقوات تأتى أهل مكة فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل مصلحة لأهلها ونظرا من الله لهم دبره وابقاه من ملة ابراهيم »

ولاعتيادهم الاعتمار فى رجب سموه منصل الأل (١) لانهم كانوا ينصلون الأسنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الاعشى

تداركه فى منصل الأل بعد ما مضى غير دأداء وقد كاد يعطب(٢)

وكانوا يدعونه الاصم لانهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه يا فلان ويا فلان ولا تؤخذ فيه الثارات . وكانت مضر تعظم رجبا اكثر من سائر العرب وتذبح فيه قرباناً تسميه الرجبية حتى أضيف اليها فقيل رجب مضر

وكانوا يرون رجباً أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن الخطاب رأى رجلا مبتلى فقال ما رأيت افظع منظرا منه . فقيل له أما تعرفه يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السلمى الذى دعا عليه عياض . فقال لعياض اخبرنى خبرك . فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا ابن عم لهم فكنت مستجيرا بهم وجارا لهم فظلمونى وأخذوا مالى عدوانا فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم يفد فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدى الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بنى ضبعان الا واحدا
ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعمى اذا ما قيد أعيا القائدا

وكان ذلك فى الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا فى عام واحد وبقى منهم هذا اعمى رماه الله فى رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

---

(١) الأل الاسنة ـ والألة الحربة ـ يقال ألّه يؤلّه الا اذا طعنه
(٢) الدأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الاشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ بالثار أو انتهاز اغتيال يدعو اليه الحقد والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي على ان الرياشي ذكر أن العرب تسمي آخر يوم من شوال فلتة من حيث أن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته ثم قال والذى رواه عن أهل اللغة قول لا نعرفه والذى نعرفه انهم يسمون الليلة التى ينقضى بها آخر الاشهر الحرم ويتم فلتة . وهى آخر ليلة من ليالى الشهر لانه ربما رأى الهلال قوم لتسع وعشرين ولم يبصره الباقون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا سميت تلك فلتة (١)

فمن مسارعتهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن المقشعر الضبى فانه لما علم أن الخنيفس الضبى قتل أخاه بيده فى آخر يوم من جمادى الآخرة نهض عاصم قبل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بغناء خباء الخنيفس ناداه مستنجدا فلما خرج اليه الخنيفس وسار معه داناه عاصم حتى قاربه ثم قنعه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى ورجب) فسارت كلمته مثلا

فاذا انسلخت الاشهر الحرم كانوا بين حروب أوقدت نارها الاحقاد وغارات أثارها طلب الثأر أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل الغنوى وهو شاعر جاهلى

ظعائن أبرقن الخريف وشمنه وخفن الهمام ان تقاد قنابله (٢)

يعنى دخلت شهور الحل فخفن ان يغير الهمام عليهن فتنكبن ناحيته وتباعدن عنه .وقد توعد تأبط شرا العوص بقتالهم عند انسلاخ الأشهر الحرم وذلك انه خرج يوما وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بجيلة

---

(١) فى القاموس الفلتة آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف — وقال بعضهم دخلن فى برق الخريف و (شمنه) أبصرنه - والشيم النظر الى البرق خاصة و (القنابل) جمع قنبلة وهى الجماعة من الخيل

فاخذوا نعما لهم واتبعهم العوص فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحباه فقال يرثيهما ويتوعد .

لنعم فتى تلتم كأن رداءه على سرحة من سرح دومة شانق(١)
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيل أناس أو فتاة تعانق (٢)

ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا فى الشهر الحرام بل وفى الحرم نفسه لسبب الغضب الذى يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين. كما كان من الشنفرى فانه لما قدم منى وبها حرام بن جابر فقيل له هذا قاتل أبيك فقتله ثم سبق الناس على رجليه وقال

قتلت حراما مهديا بملبد ببطن منى وسط الحجيج المصوت(٣)

وقد أغار معبد بن زرارة على بنى عامر بن مالك فى شهر رجب الحرام وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابخة فى الشهر الحرام الحارث بن كعب وكان من خبره ما روى ان الحارث لقى سعيد بن ضبة وهو غلام قد خرج فى ابل لأبيه قد ضلت وكان عليه بردان فلقيه الحارث فسأله برديه فأبى عليه فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث ابن كعب وعليه بردا ابنه سعيد فعرفهما . فقال له هل أنت مخبرى عن هذين البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى على فقتلته واخذتهما فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطنيه أنظر اليه فانى أظنه صارماً فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديث ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله . فقيل يا ضبة أفى الشهر الحرام فقال : سبق السيف العذل قال الفرزدق .

لا تأمنن الحرب ان استعارها كضبة اذ قال الحديث شجون

ومن ذلك قتل البراض بن قيس الكنانى عروة الرحال الهوازنى فى

---

(١) شانق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف
(٣) المهدى سائق الهدى وهو ما أهدى الى الحرم

حديث رووه وهو ان البراض كان سكيرا فاسقا خلعه قومه وتبرءوا منه فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بلطيمة(١) لتباع فيه ويشترى له بثمنها أدم من أدم الطائف . وكان يرسلها فى جوار رجل من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يجيرها فقال البراض أنا أجيرها على بنى كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامه وكان عروة الرحال حاضرا فقال أنا اجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعا أفكاب خليع يجيرها فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثانى (٢) فجار البراض وايامه يوم نخلة ثم يوم شمطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم الحريرة (٣) وهى حرة الى جنب عكاظ كما فى الاغانى وكانت حرب الفجار فى الاشهر الحرم ففى القاموس (ايام الفجار بالكسر أربعة أفجرة فى الاشهر الحرم (٤) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجرنا حضرها النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين وفى الحديث كنت أنبل (٥) على عمومتى يوم الفجار ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت) . وقد أخرجه أعمامه معهم وقيل لم يقاتل فى فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .

وفى الاغانى ان النبى شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

---

(١) اللطيمة العير التى تحمل الطيب والبز للتجارة (٢) الفجار الاول كانت الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم تشهر بها (٣) الحريرة كهريرة . وقد جعل السهيلى أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوما وفيه قيد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا فسموا العنابس (٤) استظهر الحلبى فى سيرته ان حرب الفجار لم تكن فى الشهر الحرام بل كانت فى شوال وقيل فى شعبان (٥) أنبل على عمومتى أى أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

عمه وأهله النبل وعمره يومئذ عشرون سنة وطعن عليه السلام أبا براء ملاعب الأسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرنى انى لم أشهده انهم تعدوا على قومى عرضوا عليهم ان يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)

ولقد رد الجاحظ فى الحيوان على من يعترض كون النبى شهد هذه الحرب بقوله (ولا يزال الطاعن يقول قد علمنا ان العرب لم يسموا حروب ايام الفجار بالفجور وقريشا خاصة الا ان القتال فى البلد الحرام كان عندهم فجورا وتلك حروب قد شهدها النبى صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغا . وقال شهدت الفجار فكنت أنبل على عمومتى . (وجوابنا فى ذلك) ان بنى عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة بجريرة البراض بن قيس فى قتله عروة الرحال . وقد علموا انهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل ذلك خليعا مطرودا فأتوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فدافعوا عن أنفسهم وعن أموالهم وعن ذراريهم والفاجر لا يكون المسعى عليه . ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نصروا كما نصرت العرب على فارس يوم ذى قار به عليه الصلاة والسلام وبمخرجه)

وخالف السهيلى الجاحظ فانكر قتال النبى فيها بقوله « وانما لم يقاتل رسول الله مع أعمامه وكان ينبل عليهم وقد كان بلغ سن القتال لأنها كانت حرب فجار وكانوا أيضا كلهم كفارا ولم يأذن الله تعالى لمؤمن ان يقاتل الا لتكون كلمة الله هى العليا » وانى لأعجب من السهيلى فى قصره المقاتلة على الرمى بالسهام أو الطعن بالرماح مع ان من كان ينبل على المقاتلة مشترك فى القتال ومعين عليه . ودعواه ان الله لم يأذن لمؤمن فى القتال الا لاعلاء كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد

وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم لم يقفوا عند شريعة ابراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا فى الدين فجعلوا الأشهر الحرم ثمانية وهو (البَسْل) قال فى القاموس البسل ثمانية أشهر حرم

كانت لقوم من غطفان وقيس . وذكر ابن اسحاق بنى مرة بن عوف وهم قوم دخلوا فى نسب غطفان فقال وفيهم كان النسل فيما يزعمون نسيئهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لاينكرونه ولايدفعونه يسيرون به الى أى بلاد العرب شاءوا لايخافون منهم شيئا:

النسىء

ولما كانت العرب تدين بدين ابراهيم من تحريم القتال فى الاربعة الأشهر الحرم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا محاويج لشن الغارات وطلب الثارات كرهوا توالى ثلاثة أشهر لايغزون فيها فأحدثوا النسأة وكانوا يسألونهم تأخير حرمة المحرم الى صفر قاله أبو على القالى فى أماليه (١) وقال أبو عبيد انهم اذا احتاجوا للحرب فى المحرم أخروا تحريمه الى صفر ثم يؤخرون صفرا فى سنة أخرى . وكانت النسأة من بنى فُقَيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة قال الشاعر .

أتزعم انى من فقيم بن مالك لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسئ يمشون تحت لوائه يحل اذا شاء الشهور ويحرم

أما مكان النسىء فذكر انه كان جمرة العقبة فكان يقف عندها الناسئ اذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم انى ناسئ الشهور وواضعها فلا أعاب فى أمرى ولايرد لى قضاء اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طيئ وخثعم(١) فاقتلوهم حيث ثقفتموهم — فيسألونه أن ينسئهم شهرا فان قال ان آلهتكم قد

---

(١) عبارته تقتضى ان النسىء لا يكون فى رجب لانه فرد وخالفه الفيروز بادى فى القاموس لقوله (القلمّس رجل كنانى من نسأة الشهور كان يقف عند جمرة العقبة ويقول اللهم انى ناسئ الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر وكذلك فى الرجبين يعنى رجبا وشعبان انفروا على اسم الله)

(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محلين يعدون على الناس فى الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه حلوا الاوتار و نزعوا الاسنه

وذكر المقريزى أن الناسئ كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب من حجها فيقول لهم : ان آلهتكم العزى قد انسأت صفرا الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم تلك عبارته فلعل الناسئ كان ينسئ مرتين مرة عند جمرة العقبة وأخرى على باب الكعبة وحصر الناسئين ابن هشام فقال وكان أول من نسأ الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع(١) بن عباد ثم قام بعد قلع امية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن امية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام الاسلام . فجعلهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقريزى الى أن أول ناسئ سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القلمس وهو عدى بن عامر بن ثعلبة ثم صار النسىء فى ولده الى آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر الانبارى ان من النسأة نعيم بن ثعلبة وتعقبه السهيلى بان هذا ليس بمعروف وفى صبح الاعشى ان أول من نسأ النسىء عمرو بن لحى وهو أبو خزاعة (٢)

ولقد اكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنسأة من ذلك قول بعضهم

— ومنا ناسىء الشهر القلمس — وقال غيره

نسئوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعز لم يتحول

وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانى

---

(١) نقل السهيلى عن ابن الكلبى انه قال فنسأ قلع بن عباد سبع سنين ونسأ بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسأ من بعده جنادة وهو القلمس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسىء بهذا المعنى جعل النسأة من بنى كنانة فلعل عمرو بن لحى مبتدع النسىء بمعنى تأخير الحج عن وقته

لقد علمت معد ان قومى كرام الناس ان لهم كراما(١)
فأى الناس فاتونا بوتر وأى الناس لم نعلك لجاما(٢)
ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسىء وهو تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج فى دين ابراهيم فى شهر ذى الحجة . وهو شهر هلالى يدور فى كل فصل من فصول السنة . فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتدرك الفاكهة والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا ببضائعهم

فقد كانت تقام فى أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى مجنة بالظهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وذو المجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة

فأخروا الحج فى كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية فنسئوا المحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج فى السنة الثانية فى عاشر المحرم وصار فى اعتبارهم ذا الحجة وآخر شهور السنة وصار فى السنة محرمان ثانيهما للنسىء وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلوا الحج للشهر الذى يليه . فكانوا يديرون النسىء على جميع شهور السنة فيكون لهم فى سنة صفران وفى أخرى ربيعان وهكذا . وهذا مصداق قول مجاهد كانت الجاهلية يحجون فى كل شهر من شهور السنة

وفى الملل للشهرستانى ، كانوا يكبسون فى كل عامين شهرا وفى كل ثلاثة أعوام شهرا . وكانوا اذا حجوا فى شهر من هذه السنة جعلوا يوم التروية (٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك فى شهر ذى الحجة فيكون يوم النحر عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا الفلكى معرفة العرب للنسىء بهذا المعنى وقد

(١) أى ان لهم آباء كراما واخلاقا كراما (٢) تقول اعلكت الفرس لجامه اذا رددته عن تنزعه فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه يعنى أى الناس لم نكفهم كما تكف الفرس باللجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

نقضت دليله عند الكلام على علم الفلك من كتابى (علوم العرب فى الجاهلية) ومن لطيف الاشارات فى الرد عليه ما نقله السهيلى عن شيخه أبى بكر فى قوله تعالى (يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) قال « وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات الموقتة بالاوقات تأكيدا لاعتباره بالأهلة دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا فى الحج من الاعتبار بالشهور العجمية » . وقد حرم الله نوعى النسىء لقوله عليه السلام فى خطبة حجة الوداع « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا ـ منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . ورجب مضر (١) الذى بين جمادى وشعبان ثم تلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا (٢) فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله (٤) زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين

والمعنى لقد عاد الحج فى ذى القعدة وبطل النسىء بنوعيه لما فى أحدهما من كون السنة ثلاثة عشر شهرا ولما فى الثانى من عدم توالى الثلاثة الاشهر الحرم

---

(١) قال النووى قالوا كان بين بنى مضر وبين ربيعة اختلاف فى رجب فكانت مضر تجعل رجبا ما بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان فلهذا أضافه النبى الى مضر وقال السهيلى انما قال رجب مضر لان ربيعة كانت تحرم فى رمضان وتسميه رجبا من رجبت الرجل ورجبته اذا عظمته (٢) أى لا ثلاثة عشر شهرا كما كانوا يفعلون لموافقة السنة الشمسية (٣) أى يحلون الشهر من الاشهر الحرم عاما ويحرمونه عاما ـ وهذا يصدق على النسىء بنوعيه (٤) يواطئوا أى يوافقوا والمعنى ليوافقوا العدة التى هى الاربعة وفاتهم التخصيص الذى هو أحد الواجبين